المجلة العربية للعلوم الانسانية

منهج رفاعة الطهطاوي النحوي في ضوء كتابه: «التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية»

محمد كشّاش*

* حصل على الدكتوراه في اللغة العربية من الجامعة اللبنانية ، عام 1992 .
يعمل أستاذاً في الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب وكلية التربية .

AJH
2000

الملخص

رفاعة الطهطاوي من علماء القرن التاسع عشر الذين أهمهم مايعانيه المجتمع العربي من مشكلات وبخاصة في مواجهة تطور المجتمع الأوروبي . وقد أسهم في غير جانب من الجوانب العلمية ، من أجلّها اللغة التي هي مرآة المجتمع ووعاء الفكر .

سخّر جزءاً من جهوده العلمية لمعالجة مشكلة النحو العربي ، فألّف كتاباً أسماه «التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية» ، حمل اسمه نهج ملفه ومقصده «تقريب العربية وتبسيطها» .

تناول البحث بالدرس التعريف بالطهطاوي وميادينه الفكرية التي ارتاض فيها ، ثم ألقى الأضواء الكاشفة على أصول النحو العربي من قرآن وسواه ، وصولاً إلى آرائه النحوية على ضوء الأصول التي اتبعها .

جاءت آراؤه انتخابية من المدارس النحوية المتباينة ، اختار منها الوجه الأبسط الذي يَطّرد مع التراث اللغوي ؛ ليكون النحو مقبولاً لدى درّاسه . ولم يكن غفلاً من الجدة والابتكار اللذين عرفهما من خلال آرائه الانفرادية . . وهي جميعها تشهد له بمذهب نحوي ، سجلت له سماته وعلاماته . . وبخاصة سعيه إلى جعل النحو تطبيقاً وظيفيّاً ، لا نظريّاً جافاً .

وإكساباً البحث صفة الحياد والموضوعية ، ذكرت فيه ما للطهطاوي وما عليه ، وبذلك تكتمل ـ على الراجح ـ حلقة البحث الذي أرجو أن يكون لَبِنَة ولو صغيرة في مكتبة العربية الشامخة .

مقدمة

تعدّت شهرة رفاعة رافع الطهطاوي[1] غير حقل من حقول العلم والمعرفة . وقد أولاه الباحثون جلّ عنايتهم ، حين راح كل واحد منهم يسخر أصول منهجه ، ويسلط أضواء ثقافته على جانب من جوانب حياته العلمية ، وآثاره المتنوعة .

والطهطاوي متعدد جوانب المعرفة ، مشارك في كثير من العلوم . فهو ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ من بواكير المترجمين في نهضتنا العربية . عمل مدة مترجماً في مدارس التخصص ، وكلف إعداد الطلاب لدخول المدارس المهنية وتدريب الموظفين والتراجمة[2] .

كما كان الداعي إلى تعليم المرأة في مصر ، يشهد له كتابه «المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين» الذي أكد فيه الفوائد الجمة التي يجنيها المجتمع من تعليم المرأة[3] .

وفي رحاب التربية كان أحد أقطابها ، والعاملين على إنهاضها ، إذ عُرف عنه أنه أحد أعضاء الفريق الذي خطط لنظام التربية الجديدة . . .[4] .

وفي ضوء ذلك عرفه الناس معلماً وكاتباً وشاعراً وناثراً وصحفياً وأديباً ومؤرخاً ، يصول في كل ميدان من ميادين الفكر[5] ؛ فليس بكثير عليه أن يكون معلم أمة ورائد نهضة .

ومن المفارقات الغريبة أن قلة[6] ممن تناولوا الطهطاوي بالبحث أشاروا إلى جهوده اللغوية وآرائه النحوية في عصر النهضة العربية . وعلى الرغم من ذلك ضُرب كشح الهجر والنسيان على كتابه «التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية» . ولا ندري سبب قلة الدارسين الذين اهتموا في هذا الحقل ، مع العلم أن اللغة وعاء الفكر ، والمظهر له . فلولا اللغة ، لبقيت المعارف كامنة في الأذهان ، متحجرة فيها ، لاينتفع بها ، ولا يستضاء بنورها .

ولانظن أن الطهطاوي إمام النهضة قد أغفل اهتمامه باللغة ، وهي المرسخة للعلم وحاميته وحاملته . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ماتعرضت له العربية منذ بزوغ النهضة من دعوات هدامة أرادت النيل منها ، وتبديدها .

هذان الأمران وعاهما الطهطاوي ، فكان أن شرع قلمه ، ووضع مؤلفه «التحفة المكتبية في تعليم اللغة العربية» بغية تبسيط العربية وقواعها ، لتسلم من الدروس وتبقى لغة العلم والمعرفة . ولكن قلة من الباحثين تناولوا الطهطاوي نحوياً قياساً إلى الجوانب الأخرى من بحوثهم التي تعرضت إلى الطهطاوي المعلم والكاتب والشاعر والناثر والمؤرخ والمترجم . .

إشكالية أثارت مكامن الفكر ، وكانت الحافظ على البحث والدرس في كتاب الطهطاوي «التحفة المكتبية» ، بغية إثارة مضامينه والاطلاع على أصوله ؛ لمعرفة مذهبه النحوي .

وعى علماء العربية ارتباط اللغة بالفكر منذ وقت مبكر ، وانعكس الأمر في مفصلين ؛ **الأول** ربطهم النطق (اللغة) بالمنطق (وهو علم قوانين الفكر) وتبادل تسميتها التي ظهرت في كتاب السُّكّيت «إصلاح المنطق» ، وهو يقصد إصلاح النطق . **والثاني** اعتبارهم الذكاء (وهو القدرة على التحليل والتركيب والتمييز والاختيار ، وعلى التكيف إزاء المواقف المختلفة) قائماً في اللسان والقدرة على الخطاب والجواب ، يشهد له كتاب الحافظ ابن الجوزي «الأذكياء» ، الذي دارت مباحثه حول ماذكر منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ماجاء في القسم الثاني من الباب الرابع «وهو الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأقوال» ، والباب السابع «في سياق المنقول من ذلك عن نبينا (ص) كلمات تدل على قوة الفطنة الفطرية» ، والباب العشرين في ذكر من فلج على خصمه في المناظرة بالجواب المسكت[7] ، وغيرها . وعلى هدي آراء علماء العربية استنّ العلماء الأوروبيون وسواهم ، فكانت لهم مؤلفات ربطت اللغة بالفكر[8] .

كتاب التحفة . ماهو وما فحواه وحقيقته؟

كتاب «التحفة المكتبية» نشر ضمن الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ، في الجزء الخامس منها الذي يحمل عنوان «في الدين واللغة والأدب» ، وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، في بيروت ، بطبعته الأولى سنة 1401هـ - 1981م ، دراسة وتحقيق د . محمد عمارة . يقع الكتاب في مئة وثمان وثلاثين (138) صفحة ، تمتد من الصفحة 117 حتى 254 . موضوع «النحو العربي» ، صفحة عنوان تحمل بيتاً : (من الطويل)

كَـــلاَمٌ بِلاَ نَحـــوٍ طَعـــامٌ بلا ملحِ

ونَحْـــوٌ بِلا شـــعْـــرٍ ظلامٌ بلا صُـــبْحِ

وذيله بقوله : «أتم الطهطاوي تأليفها يوم الثلاثاء 7جمادى الأولى سنة 1285هـ ./ . . وطبعت سنة 1286هـ» . ثم بدأه بمقدمة عرّف فيها أهمية النحو ، مزاوجاً بين النحو والملح ، بقوله : «الحمدلله الذي جعل النحو للكلام كالملح للطعام . . .»[9] ، ثم أظهر غايته التبسيطية : «فكان حظي من هذه القسمة العدلية تأليف رسالة في النحو سهلة المأخذ لدراسة المدارس الخصوصية والأولية . . . فجاءت ولله الحمد من محاسن الدولة الإسماعيلية ، وأحاسن المنافع الوطنية الملية ، تفي بالمرام ، لجزالة اللفظ وحسن الانسجام ، لاسيما وأنها مصوغة على أسلوب جديد ، يقرب البعيد للمريد المستفيد . . .»[10] . وبيّن بعدها أقسام الكتاب . وختمه بخاتمة «تتعلق بالخط والإملاء وحسن القراءة»[11] ؛ وبذلك تجاوز موضوع النحو إلى رحاب أوسع جعلت الكتاب يتسع لغير علم من علوم العربية .

ونظرة بتدبر في ثنايا الكتاب ، تبرز نهجه في تقسيم الكتاب ، وهو نهج بعض علماء العربية[12] القائم على التقسيم باعتبار الإعراب وعوامله ، فجاء على النحو التالي : في عوامل الرفع وفي المرفوعات ، في عوامل النصب وفي المنصوبات ، في عوامل الخفض وفي مخفوضات الأسماء ، وأخيراً في عوامل الجزم ومجزومات

الأفعال . سبق القسمة الأساسية الحديث عن أقسام الكلام ، وعلامة كل قسم ، ثم في الإعراب والبناء ، وفي ألقاب الإعراب والبناء ، وعلامات الإعراب والبناء .

أصول النحو عند الطهطاوي

للنحو العربي ـ شأن غيره من العلوم ـ أصول يستند إليها لوضع قواعده وتقرير أحكامه . وهذه الأصول أو الأدلة ـ كما حددها العلماء ـ هي : السماع والإجماع والقياس[13] .

يشتمل السماع أو النقل على كلام الله تعالى وكلام نبيه (ص) وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة[14] . . . كيف تعامل الطهطاوي مع هذه الأصول؟

1 - القرآن الكريم

استند الطهطاوي إلى آي القرآن الكريم في معظم مؤلفه . فهو يستشهد به عند تقرير قاعدة نحوية ، من أمثلة ماجاء في علامة جزم الأفعال الخمسة ، قال[15] : «الأفعال الخمسة التي ترفع بثبوت النون فتجزم بحذفها كما نصبت بحذفها أيضاً» . . . وقد اجتمع الجزم والنصب في قوله تعالى : «فإنْ لَمْ تَفْعَلوا ولَنْ تَفْعَلوا»[16] .

ويستشهد بالقرآن الكريم أيضاً عند ترجيح رأي وتغليب مذهب نحوي على آخر . مما يساق شاهداً على ذلك ترجيحه صحة ذكر المبدل منه لما فيه من فائدة[17] ؛ بحيث يتوقف عليه صحة الكلام ، استناداً إلى قوله عز وجل : «وَجَعَلوا للّه شُرَكاءَ الجِنّ»[18] .

إلى غيرها من المسائل النحوية التي لاينفك القرآن فيها الشاهد والمعتمد . وقد بلغت الشواهد القرآنية في كتابه مئة واثنين وتسعين (192) شاهداً[19] صرح بها . إلى جانب مواضع استشهد فيها بآية أو بجزء منها من دون أن يصرح بها[20] . وهذا

مقدار كبير إذا قيس بأمهات كتب النحو العربي ، ككتاب الزجاجي «الجمل في النحو» ـ مثلاً ـ ، إذ بلغت فيه الشواهد القرآنية مئة وتسعة عشر موضعاً[21] .

2 - القراءات القرآنية

ومثلما اتكأ الطهطاوي على الشواهد القرآنية ، كذلك أخذ بالقراءات ، من دون أن يغمز بقناة إحداها ، بل جعلها ثوابت في تأكيد القواعد النحوية . يشهد لذلك ماذكره في مسألة إثبات ياء المنقوص ، قال : « . . . وإن كان غير منون فالأصح الوقوف عليه رفعاً وجراً بالإثبات[22] كقوله تعالى : «الكبير المُتَعالي»[23] ، على قراءة ابن كثير[24] حيث وقف بالياء على الوجه الأفصح .

والطهطاوي يأخذ بالقراءات المتعددة للآية الواحدة ، ويخرج كل قراءة على الوجه الإعرابي الذي تحتمله . على نحو ماجاء في قوله تعالى : «فَهَبْ لي من لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُني»[25] . قال الطهطاوي مُخرِّجاً[26] : فمن قرأ برفع «يرثني» جعله صفة لقوله «وَلِياً» وأنه ليس جواباً للأمر ، ومن قرأ بالجزم جعله جواباً للأمر[27] .

وتتعدد أماكن الاستناد للأمر إلى القراءات[28] في «تحفة » الطهطاوي . وهذه التعددية أملتها معرفته بالقراءات واعتبارها من الأصول والثوابت ، وهي ليست ترجع إلى الرأي كما قال : «والقراءة سُنَّة متبعة ليس مرجعها الرأي»[29] .

3 - الحديث الشريف

أنزل الطهطاوي الحديث الشريف منزلة قدسية ، عندما فتح باب الاستشهاد به على مصراعيه ، ولم يعرض عنه على الرغم من مزاعم القائلين بأن الحديث رُوي بالمعنى . . . وغيرها من الحجج[30] ، التي حملت بعض النحاة على الاحتراز من الأخذ به والاستناد إليه في مسائل النحو . وقد وصف أبو حيان النحوي في «شرح التسهيل» منهج النحاة في حجية الأحاديث بالنسبة للقاعدة النحوية ، قال : « . . . قدأكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد في لسان العرب وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة . . . على

أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمرو الخليل وسيبويه من أئمة البصريين . . لم يفعلوا ذلك . . .»[31] .

وقد تخطى الطهطاوي سلوك النحاة الأوائل ، فظهر الحديث في غير مسألة من مسائل كتابه . من شواهد ذلك ما أثبته في مسألة رفع المبتدأ بعد «إنَّ» معتبراً اسمها ضمير الشأن محذوفاً[32] ، سنده قول الرسول ﷺ : «إنّ مِنْ أشَدّ النّاسِ عذاباً يَوْمَ القيامةِ المُصَوّرونَ»[33] ، والأصل «إنه» .

ومنه أيضاً ماجاء في باب المفعول لأجله ، في مسألة وجوب الخفض وامتناع النصب[34] ، حجته قوله عليه الصلاة والسلام : «دَخَلَتْ امرأةٌ النّارَ في هِرَّةٍ»[35] . وسواها من الأحاديث[36] .

4 - أقوال العرب وأمثالهم

لم يغب عن بال الطهطاوي مافي كلام العرب الفصحاء المتمثل بالأمثال وسواها . . . من الأهمية في باب النحو العربي . وقد انعكس هذا في مؤلفه الذي حضن في تضاعيفه شيئاً منها ، على نحو ماجاء في مسألة النصب بـ«أن» المضمرة بعد فاء السببية[37] ، ومثلها في جواب التمني قول العرب : «ليت لي مالاً فأحج منه»[38] . ومنه أيضاً ماورد في باب الإغراء والتحذير[39] ، من نحو قولهم : «الكلابَ عَلى البَقَر»[40] .

5 - الشعر

أكثر الطهطاوي من الاستشهاد بأشعار العرب . وقد بلغت الشواهد عنده خمسة وثمانين (85) شاهداً ، ورد بين بيت وشطر . ويمكننا القول في ضوئه إن الشعر دخل ـ تقريباً ـ كل باب ومسألة في الكتاب ، نظراً إلى ارتفاع عدد الشواهد ، نسبيّاً ، في كتاب صغير الحجم كهذا . من أمثلة ذلك الشاهد الشعري على رفع اسم الفعل الماضي الفاعل[41] ، جاء بقول الشاعر (من الطويل) :

فَـهَـيْـهـات هَيْـهـات العَـقـيقُ وَمَنْ بِهِ

وَهَيْـهَـات خِلّ بالعَـقـيقِ نُواصِلُه[42]

ومنه أيضاً ما ورد في باب الاستثناء ، عند التدليل على عمل «خلا» و «عدا» النصب إذا تقدمها «ما» المصدرية[43] ، جاء في قول لبيد (من الطويل) :

ألا كُلُّ شَيءٍ مـــا خـــلا اللّه باطِل

وكُلُّ نَعـــيمٍ لامَـــحـــالَةَ زائِل[44]

وفي أحيان كثيرة يكتفي بالتركيز على موضع الشاهد ، فيأتي بشطر منه ، من نحو استشهاده على جواز عمل «لا» عمل «ليس» وهي تنفي الجنس[45] ، استناداً إلى قول الشاعر (من الطويل) :

تَعزَّ فَلا شيْءٌ عَلى الأرْضِ باقِيًا[46]

إلى جانب غيرها من المواضع المتعددة ، كما في الجدول الذي خصه للأفعال التي تعمل عمل «صار» ، جاء في الشطر (من الطويل) :

فَلِلّهِ مُغْوٍ عَادَ بالرشدِ آمراً

في موضع الاستشهاد على الفعل «عاد» .

وفي الشطر :

فَيا لَكَ مِنْ نُعْمَى تَحَوَّلْنَ أبْؤساً[47]

في موضع الاستشهاد على الفعل «تحوّل» . . .

ولم يعن الطهطاوي بنسبة الأبيات أو الشطور إلى قائليها ، وهو وإن ذكر اسم الشاعر فقد أثبت القليل منهم ، من نحو : لبيد بن بيعة ، وامرئ القيس ، وميسون زوجة معاوية ، وابن دريد ، والشاطبي ، والحريري[48] .

وعلة ذلك أن شواهده في أغلبيتها معروفة ومتداولة في مؤلفات التراث النحوي وشروحاته كـ«أوضح المسالك» لابن هشام وسواه .

واللافت للنظر ، أن شواهد الطهطاوي الشعرية التزمت الإطار الزماني والمكاني لعصر الاحتجاج الذي وضعه علماء العربية[49] ، فجاءت استشهاداته ضمن إطار من يحتج بشعرهم ، ماخلا شاهدين أثبتهما في باب الخط والإملاء . الأول للشاطبي (من الطويل) :

وتَثْنِيَةُ الأَسْماء تَكْشِفُها وإنْ

ردَدْتَ إليك الفعل صادَفْتَ مَنْهلا

والثاني للحريري (من الطويل) :

إذا الفِعْلُ يَوْماً غُمَّ عَنْكَ هِجاؤُهُ

فَألحِقْ به تاءَ الخِطاب ولا تَقِفْ

فإن تَرَهُ بالياءِ يَوْما فَكَتْبُهُ

بياءٍ وإلاّ فَهْوَ يُكْتَبُ بالألِف[50]

والشاهدان ليسا من باب الشواهد التي تقعد عليها قاعدة ، بل هما من منظومات الشعر التعليمي ، مما يرجح التزام الطهطاوي بشعر من يحتج بشعرهم .

لم يكن احتفال الطهطاوي بالشعر ، والاستناد إليه في كتابه من باب تقليد كتب العلماء والنقل عنهم ، في تعزيز قاعدة ، وتوضيح حكم فحسب ، بل إن فضيلة الشعر تكمن في «أن ألفاظ اللغة إنما يأخذ جزلها وفصيحها ، وفحلها وغريبها من الشعر ، ومَنْ لم يكن راوية لأشعار العرب تبيّن النقص في صناعته»[51] ، بالإضافة إلى اعتباره ديوان العرب[52] ، منه تستنبط الآداب وتؤخذ العلوم .

6 - اللغات واللهجات

احترم الطهطاوي اللغات واللهجات ، معتبراً إياها من ثوابت السماع ؛ لذلك لم يأت مؤلفه غفلاً منها . ومن أمثلة ذلك لغات «ما» النافية ، العاملة عمل «ليس» ، وهي الحجازية ، كما في : «ماهذا بشراً ، ثم أردفه بقوله : وأهل تميم يهملونها فيقولون : ماهذا بشرٌ»[53] .

كما أنه لم يهمل ذكر اللغتين في المسألة الواحدة . أورد أوجه إعراب «يوم» في قول الشاعر (من الطويل) :

ولا سيَّما يَومٌ بِدارةِ جُلْجُلِ[54] .

قال : المستثنى بعدها يجر ويرفع ، وقد ورد برفع «يوم» وجره[55] .

وكذلك لم يهمل اللغة القليلة . جاء في باب عوامل الخفض[56] : التاسع تاء القسم ، نحو تاللّه . . . ولاتدخل إلا على اسم الله ، وقال تالرحمن ، وترب الكعبة .

وبالإجمال جاء ت اللغات واللهجات شذرات في بعض المسائل النحوية ، وهو يصرح بها حيناً ، ويهملها أحياناً[57] . وفي ذكرها فائدة تعين على تحديد شيء من معالم لغة العرب .

إنها الأسس التي استند إليها الطهطاوي في كتابه ، وقد سار فيها على خطا منهج النحاة السابقين . ولا غضاضة في منهجه ؛ لأن الطهطاوي هدف إلى تقديم مادة النحو العربي صحيحة بعيدة عن التحريف والتغيير . وقد تلمس الحفاظ على التراث النحوي إلى جانب تقديمه لقمة سائغة إلى طالب العربية .

آراؤه النحوية

من خلال كتاب «التحفة المكتبية» تظهر آراء الطهطاوي النحوية . وهي موزعة ما بين آراء انتخابية انتقاها من المدارس النحوية المختلفة : بصرية ، وكوفية ، وبغدادية ـ فضلاً عن زيادات أضافها ، وآراء تفرد بها .

أ - الآراء الانتخابية

برزت آراؤه الانتخابية في مسائل نحوية عدة ، منها :

1 - ذهب مذهب الإمام علي وأبي الأسود الدؤلي[58] في تقسيم الاسم إلى ثلاثة أقسام : ظاهر ، ومضمر ومبهم . وكل من هذه الثلاثة ينقسم بدوره إلى مذكر ومؤنث ، مفرد ومثنى وجمع . فالمظهر المذكر المفرد ، نحو : زيد . . . ، والمظهر المذكر المثنى ، نحو : الزيدان . . . والمضمر المفرد المذكر ، نحو : هو وأنت والتاء . . والاسم المبهم هو أسماء الإشارة والموصولات . . .[59] .

2 - خالف الطهطاوي الكوفيين[60] وجارى البصريين في تقسيم الفعل ـ باعتبار الزمن ـ إلى ثلاثة أقسام : ماض ومضارع وأمر[61] . والكوفيون يجعلون الأمر مقتطعاً من المضارع . وكذلك حال بعض الأندلسيين[62] .

3 - انتخب الطهطاوي مذهب جمهور البصريين[63] في اعتباره علة إعراب المضارع مشابهته للاسم ، فإن «يضرب» ـ مثلاً ـ يوازن «ضارب» ، ويحل محل الاسم في بعض الأحوال[64] .

4 - اعتبر الطهطاوي أن حركات الإعراب هي الأصل ، والأحرف هي الأفرع ، قال : «الضمة هي العلامة الأصلية في الرفع . . . والواو هي العلامة الثانية ، وهي إحدى العلامات الفرعية التي يكون الرفع بها بالنيابة عن الضمة . . .»[65] . وفي هذه المسألة مذهبان[66] ، أحدهما مذهب البصريين وهو الذي اختاره الطهطاوي .

5 - اختار الطهطاوي رأي ابن السراج[67] في مسألة الممنوع من الصرف وهو عنده الاسم الذي لايدخله جر ولا تنوين[68] .

6 - رأي الطهطاوي رأي عبدالقاهر الجرجاني[69] في أن أدوات الاستثناء وحروف النداء هي عوامل نصب الأسماء ، لأن فيها معنى الفعل[70] .

7 - حكى الطهطاوي رأي الكوفيين[71] ، وخالف ابن يعيش في أن المبتدأ هو عامل الرفع في الخبر[72] .

8 - ذهب الطهطاوي مذهب الزجاج[73] فى أن ناصب المفعول معه الفعل أو الاسم الذي فيه معنى الفعل ، لكن بواسطة الواو لأنه ظاهر ، وليست الواو ناصبة[74] .

9 - قسم الطهطاوي الجملة في العربية إلى قسمين : اسمية وفعلية[75] . وقد خالف بذلك ابن هشام[76] وابن يعيش[77] .

10 - اتبع الطهطاوي مذهب الكوفيين[78] في إعراب «بسم الله الرحمن الرحيم» ، معلقاً الجار والمجرور «بسم» بالفعل[79] ، وعليه فالجملة فعلية ، وتقديرها : «أبتدئ» .

هذا إلى جانب اختياره المصطلحات البصرية والكوفية . من أدلة ذلك استعماله مصطلح فعل الأمر[80] وهو مصطلح بصري[81] ، والخفض[82] وهو مصطلح كوفي[83] ، ومصطلح المفاعيل : من أجله ، ومعه ، وفيه ، وبه ومطلق[84] وهي مصطلحات بصرية[85] . وكذلك تسمية «الأداة» كما في باب النواسخ ، قال معددها : «وعدد أدواتها سبعة»[86] .

ب - آراء انفرادية

لم يكن الطهطاوي ناقلاً لآراء النحاة فحسب ، بل أضاف إليها آراء انفرد بها ، وأخرى زاد فيها ايضاحاً وتمثيلاً . من ذلك :

1 - فسر الطهطاوي سبب تصريف بعض الأسماء الممنوعة من الصرف ، كالجمع «سلاسلا» الوارد في قوله تعالى : «إنّا اعْتَدْنا للْكافرينَ سَلاسلا وَأغْلالاً وَسَعيراً»[87] ، قال : ولاتنوين تمكين إلا لتناسبَ الكَلاَم[88] على حين ذهب النحاة في تخريجها مذاهب شتى[89] .

2 - زاد الطهطاوي في باب «كان وأخواتها» قسماً رابعاً وسماه «أخوات ليس» وهي «آض ، رجع ، عاد ، استحال ، قعد ، حار ، ارتد ، تحولت ، غدت»[90] . على أنه لم يجعلها قوم من النحاة قسماً مستقلاً ، بل ألحقوها بها[91] .

3 - جعل الطهطاوي الإتباع[92]نوعاً من أنواع التوكيد ، قال : «وكما يكون التوكيد اللفظي بلفظ المؤكد يكون بمرادفه . . وقد يكون أيضاً بموافق المؤكد ، نحو : زيد عطشان بَطْشَان ، وعمرو حَسَن بَسَن ، ونحو ذلك»[93] .

4 - أعرب الطهطاوي «مرحباً» مفعولاً به لفعل مضمر قدره بـ«أصبت رحباً لاضيقاً»[94] . واعتبره غيره مفعولاً مطلقاً ، مقدراً له فعلاً من جنسه ، وهو : أرحب مرحباً أي أرحب بك ترحيباً[95] .

5 - عد الطهطاوي التوابع أربعة ، وهي : «النعت والعطف والتوكيد والبدل»[96] ، وذلك بعد ضم عطف النسق إلى عطف البيان ، وجعلها قسماً واحداً . وأكثر النحاة اعتبروا التوابع خمسة[97] .

هذه جملة آراء رفاعة الطهطاوي ، طالعنا بها كتابة «التحفة المكتبية» . وهي تقف شاهداً ودليلاً على مذهبية الطهطاوي النحوية ، ومنهجه في الدرس النحوي . بالإضافة إلى أنها تثبت صحة مانطرحه ، وتكشف الغطاء عن أحد دفائن فكره متمثلة بمشاركته في علوم العربية .

سمات مذهب الطهطاوي النحوي

اتسم مذهب الطهطاوي النحوي بسمات ، من أبرزها :

1 - الاعتماد على المسموع وتقديمه على غيره من الأدلة

الحكم النحوي في «التحفة المكتبية» يستند إلى السماع ، بحيث تأتي القاعدة سرداً للأصل المسموع ، والأصل المسموع متبوعاً بالنظرية ، لاتنفك عنه إلى سواه . من شواهد ذلك ما أورده في باب «الجمل التي لا محل لها من الإعراب» ، قال : الأولى الجملة الابتدائية ، أي الواقعة في ابتداء الكلام ، وتسمى المستأنفة والاستئنافية ، سواء كانت اسمية ، نحو : «إنّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر»[98] ، أو فعلية ، نحو : «إذا جَاءَ نَصْرُ اللّه والفَتْح» . . .[99], [100] .

وهذا المنهج يفسر على ضوئه كثرة الشواهد القرآنية والشعرية[101] وأقوال العرب والطهطاوي ، وإن عدل عن هذا المنهج إلى غيره من الأدلة العقلية كالقياس وغيره فإنه لا يبالغ فيه ، كما يبالغ فيه النحاة ، بحيث يصبح عندهم الأصل واللغة والنحو الفرع[102] . ويصدق ذلك أدلته في حمل الأسماء المبنية على الحروف ، قال : «وأما الحروف فجميعها مبنية والبناء متأصل بها ، وجميع ما أشبهها من الأسماء شبهاً قوياً فهو مبني ، فبناء الأسماء راجع دائم إلى شبه الحروف»[103] . . كذلك حاله حين يلجأ إلى الأدلة العقلية في تفسير الحكم النحوي ، على شاكلة ماجاء في عدم نداء المعرف بـ«أل» . أوضح ذلك على نحو : ولهذا امتنع قولهم : «لأن فيه اجتماع تعريفين على معرف واحد»[104] .

2 - جمع النظرية بالتطبيق

أعقب الطهطاوي النظرية بالأمثلة التطبيقية ، ولم يرسلها عارية من دون تمثيل . ومن يَرُمْ في أبواب كتابه يَرَ بأم عينه ذلك . فالباب عنده قسمان : **الأول** نظري ، فيه يسرد الحكم النحوي ، **والثاني** عملي فيه يثبت الأمثلة التطبيقية . من أمثلة ذلك ما أثبته في باب المنادى ، جاء فيه : «المنادى هو المطلوب إقباله بحرف ناب مناب أدعو لفظاً ، نحو : يا رجل أقبل ، ويا جبَال أوِّبي ويا رسول الله ، ويا حسرة على العباد ، أو تقديراً ، نحو : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هذا ، تقديره يا يوسف»[105] .

وقد ترتب على منهجه أن أعقب تقريباً بجدول بَيَّن فيه الحكم النحوي ثم التطبيق والتوضيح . وقد بلغت الجداول ثلاثين جدولاً .

3 - البعد عن الأحكام الشاذة والنادرة

سعى الطهطاوي ـ في أثناء رسم الحكم النحوي ـ وراء الظاهرة المطّردة التي تمليها اللغة الفصيحة المتواترة ، بعيداً عن القليل والشاذ والنادر والضرورة ؛ لأن هذه في الواقع لايبنى عليها قاعدة ، ولاحكم .

وأحياناً يذكر الحكم العام ، ثم يردفه بما جاء شاذاً ، ولكن لايقيس عليه ، مكتفياً بالتنبيه إليه . من نحو ماجاء في باب المنادى ، قال : وإنما بُني المنادى المفرد العَلَم لأنه بمنزلة كاف الخطاب من «أدعوك» ، ثم لاينون إلا للضرورة ، نحو (من الوافر) .

سَلامُ اللّهِ يا مطرٌ عليها

وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مطرُ السَّلاَمُ[106]

ثم نبه عليه : فتنوينه لضرورة الشعر فلا يقاس عليه[107] .

ومثله ماذكره في عدم تقديم التمييز على المميز . ثم أورد شاهداً عن العرب مناقضاً للحكم : (من الطويل)

وَمـا كـادَ نَفْـسـاً بالفـراقِ تَطيبُ[108]

قـالَ مـذيلاً هذا غـيـر مـقـيس[109]

ولهذا أتت القاعدة النحوية عنده وصفاً لأحكام اللغة ، لا فرضاً عليها . كما اتصفت بالاطراد والشمول النسبيين . وقد انعكس ذلك في بعض الأبواب والمسائل التي أخذ يجري في أمثلتها وراء الشائع والمعروف بعيداً عن المهجور والمصنوع . يصدقه ماجاء في باب المفعول فيه من الظروف ، قال : «ولنذكر لك الظروف المتداولة . . .»[110] .

4 - الدقة والشمول والاستقصاء

امتازت القاعدة النحوية في كتاب«التحفة المكتبية» بالدقة والاستقصاء ؛ محررة من الغموض والإبهام . فالحكم النحوي تتبعه الأمثلة التي ترسخه ، والأخيرة تعقبها التوضيحات والشروحات . يشد أزر ذلك قوله في المستثنى : «والمستثنى بـ «لا يكون» و«ليس» و «عدا» و «خلا» منصوب أبداً ، تقول : «جاءني القوم لايكون زيداً ، وليس زيداً ، ففاعل خلا وعدا ضمير مستتر يعود على مصدر الفعل المتقدم عليهما أي تجاوز القوم زيداً ، أو على البعض المفهوم من الاسم العام ؛ أي تجاوز

بعض القائم زيداً ، أي لم يكن من القائمين ، وبعضهم يجر المستثنى بـ خلا وعدا فيقول : جاءني القوم خلا زيد وعدا عمرو . .»[111] .

ومثل هذا توضيحه معنى الظرف المبهم ، قال : «المبهم ماليس له أقطار تحيط به ولا حد يحصره كأسماء الجهات الست التي هي أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال . ووجه الإبهام في هذه الجهة أنك تقول : جلست خلف المسجد مثلاً فإنه مبهم يتناول ماكان خلف المسجد إلى انقطاع الأرض . وهكذا باقي الجهات . . .»[112] .

وقد يعقب المثل المضروب بإعرابه : من أمثلة إعرابه قوله تعالى : «الحاقة ما الحاقة»[113] : الحاقة مبتدأ أول ، وما اسم استفهام مبتدأ ثان مبني على السكون في محل رفع والحاقه خبر المبتدأ الثاني . وجملة المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر المبتدأ الأول ، والرابط إعادة المبتدأ بعينه[114] . وهذا الصنيع نادر ، بل قليل في مصادر النحو .

5 - عدم التعصب لمذهب نحوي من دون آخر

جرى الطهطاوي في آرائه النحوية واختياراته وراء الحكم الأصوب ، والقاعدة الأشمل . ولهذا جاءت اختياراته متعددة من المدارس النحوية المختلفة . وآراؤه السابقة تحمل في مضامينها الدليل والشاهد . وكذلك حال المصطلحات التي استعملها .

6 - اتجاه الطهطاوي في النحو وجهة وظيفة

استطاع الطهطاوي أن ينفذ بمؤلفه إلى نقطة عميقة في النحو ، وهي النظر إلى الغاية الحقيقية منه ، المتمثلة في ضبط الكلام والتمكين من التعبير بعيداً عن الخطأ واللحن . وقد صرح بمقصده عند تعريفه النحو الذي اعتبره : «فن تصحيح الكلام العربي كتابة وقراءة»[115] .

وبذلك أصبح النحو عنده نحواً وظيفياً[116] ، نأى عن كل لغط وجدل . وانعكس اتجاه الطهطاوي انعكاسات عدة ، تجلت في كتاب «التحفة المكتبية» ، منها :

أ - الاهتمام كثيراً بكيفية العمل بالقاعدة لا بالقاعدة نفسها ؛ لأن كيفية العمل هي الأساس والعناية لا العمل نفسه . وقد بدا ذلك في مؤلفه ، منه ماجاء عقب ذكر العلامات المميزة لكل من الاسم والفعل والحرف ، قال : فقد علمنا من ذلك كيفية تمييز الاسم والفعل والحرف بالعلامات المميزة لكل منها عن غيرها لصحة استعمالها في الكلام العربي التي هي أجزاؤه[117] .

ب - الاهتمام بالشرح والتوضيح كثيراً ، منه قوله عند تعريف «الحرف» : والحرف كلمة دلت على معنى في غيرها ، كـ«قد» في قولك : قد قام زيد ، أي تحقق قيام زيد . فمعنى قد للتحقيق[118] .

ج - الإحصاء والتتبع في القاعدة النحوية ، كما في ذكره علامات الاسم المميزة عن الفعل والحرف[119] . . وقد يأتي بالبراهين الرياضية لتثبيت تلك القاعدة ، وتأكيد العلامات المميزة . قال في ذيل كلامه على الاسم : « . . . مثلاً إذا أردنا أن نعرف كلمة هل هي اسم . فلفظ «كم» لايقبل دخول الألف واللام ولا التنوين ولا النداء وإنما يقبل باء الجر ، نحو : بكم درهم اشتريت هذا الفرس؟ فبقبوله للباء عرفنا أنه اسم» . .[120] .

د - التمييز بين الاستعمال المطرد والاستعمال الخاص بالشعر ، وهو لهذا كثيراً ما كان ينوِّه إلى أن هذا الحكم خاص بالشعر ، حتى لايطلق فضل العنان للقاعدة فتنقلب وشوشة وبلبلة بدلاً من ضابط وحكم . وشاهده ماجاء في الأحرف العاملة عمل ليس . ذكر أن «لا» النافية للوحدة ، كما في قول الشاعر : (من الطويل)

تَعَـزَّ فَـلا شَيْءٌ عَلى الأرْض باقِـيـاً
ولا وَزَرٌ مِـمـا قَـضى اللّه واقِـيـاً[121]

قال : إعمالها خاص بالشعر[122] .

ومنه أيضاً ماجاء في باب البدل . قال معقباً بعد عرض أنواعه : «ولك من بدل النسيان والغلط متروك لايذكر في كلام الفصحاء . . .»[123] .

واستبعد الرأي المرجوح من الرأي الثابت المطرد ، فظهر في رده على من قال إن «الواو» هي الناصبة للمفعول معه : «على القول المرجوح من أن ناصب المفعول معه هو واو المعية ، والصحيح أنه منصوب بالفعل أو بالمشتق»[124] .

هـ - التنبيه على بعض الأحكام التي لم تطرد في القواعد النحوية ، من أمثال المبدأ النحوي المعروف : «الحرف المختص يعمل»[125] ، قال : «ومن الحروف ماليس له عمل في الأسماء ولا في الأفعال وإن كان مختصاً بها نحو «قد» و «السين» و «سوف» ، فهي خاصة بالأفعال بدون تأثير ولا عمل ، وكحرف التعريف نحو «أل» في الرجل فإنه لايعمل في مدخوله عملاً»[126] .

و - الإتيان ببعض المنظومات ، وذلك تأكيد لعنايته التبسيطية ـ الوظيفية . ومعلوم ما في المنظومات من فضل تربوي يتمثل في سرعة حفظ الحكم النحوي الذي تحمله . وقد برزت في غير قاعدة نحوية[127] ، منها ماذكره في باب نصب الفعل المضارع ، عند حديثه على نصب إذن : (من الرجز) :

أعْـــــــــمل إذَنْ إذا أتَـتـك أوّلاً
وَسُـقْتَ فـعْـلاً بَعْـدَها مُـسْـتَـقْـبَـلا
واحْـذَرْ إذا أعْـمَلْتَـهـا أنْ تَفْـصـلا
إلاّ بـحَـلْـف أو نـداءٍ أوْ بِـلا
وَافـصل بِظَرْفٍ أوْ بِمَـجْـرور على
رَأي ابْنِ عَـصْـفُـورٍ رَئيسَ النُّبـلا [128]

ز - الاعتماد على الجداول واللوحات التي أثبتها عقب كل باب تقريباً ، لخص فيها النظرية ، وأشربها بالتطبيق والتمثيل ، حيث باتت عياناً ومثلاً ، بعد أن كانت وهْماً وكلاماً . وأهميتها تكمن في أصول تربية ـ نفسية ، هي : الإيجاز والتلخيص ، وفيهما تقريب للنظرية وسهولة فهمها وسرعة استيعابها ، بعد أن تجردت من الآراء المتعددة والاتجاهات المتباينة . والثاني إتباع القول بالمثل ، وهو يسير وفق القاعدة التربوية المعروفة «أدفع للكلل ، وأبعد للملل ، أن يتبع

القول المثل» . والثالث أن الجداول تقدم المادة عبر أكثر من حاسة ، أقلها من خلال المنظور والمسموع . والشيء إذا أخذ بأكثر من حاسة كان آكد في النفس ، وأشدّ رسوخاً . وهو أصل عرفته الحضارة العربية . قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني في أسباب قوة تأثير التمثيل وعلله النفسية :« . . . وإذا بحثنا عن ذلك وجدنا له أسباباً وعللاً كل منها يقتضي أن يفخم المعنى بالتمثيل وينبل ، ويشرف ويكمل ، فأول ذلك وأظهر أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكني . . . لأن العلْم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع . . يفضل المَستفاد من وجهة النظر والفكر في القوة والاستحكام . . .ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاً من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروية»[129] . ولفرط عنايته بالجداول ، والتبصر بأهمية عاقبتها أكثر منها حتى بلغت ثلاثين جدولاً . واعتماده على الجداول أثر من آثار ثقافته العلمية ؛ إذ هي منقولة من الإحصاء والرياضيات ، وجدولة النتائج في الفيزياء والكيمياء ، وماكانت لتبرز لولا الثقافة التي حازها ، والعلوم التي حصّلها .

لقد كان وراء الأسس التي رعاها الطهطاوي أصول تربوية ، وثقافة نفسية وعاها فرعاها في مبادئ نحوه . ولعل هذا المبدأ يطالعنا به عنوان مؤلفه الذي وسم : «التحفة المكتبية في تقريب العربية» . إذ حرص كل الحرص على تقريب أحكام النحو ، عن طريق تبسيطها وتوضيحها وتلخيصها مما علق بها من أوضار الحشو وطفيليات الجدل وقد أفصح عن غايته بقوله : « . . .فكان من حظي . . . تأليف رسالة في النحو سهلة المأخذ لدراسة المدارس الخصوصية والأولية ، فجمعت هذه الرسالة . . . لاسيما وأنها مصوغة على أسلوب جديد يقرب البعيد للمريد المستفيد ، فلهذا اسميتها بالتحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية . . .»[130] .

فهم الإمام الطهطاوي فضل اللغة وأهمية النحو في الكلام . وهو فهم عميق دقيق لا يعيه إلا من أوتي بصراً وبصيرة ، ليعرف أن «النحو للكلام كالملح للطعام[131] . ولذلك سعى إلى تبسيطه وتقريبه لمريده .

كان الطهطاوي منسجماً مع نفسه ، وفياً بما وعد ، أميناً على ما استودع وائتمن ، وقد أصاب في كثير من آرائه ، واستطاع أن يبعث النشاط والحيوية في أبوابه ومسائله . يدعم ذلك أمران :

الأول في الأصول والمنطلقات ، إذ انطلق الطهطاوي من ثوابت لايرقى الشك إليها . فالسماع الذي قدمه على مَنْ عداه من الأصول أساس متين في تقعيد قواعد اللغة ورسم أطر أحكامها ؛ لأنه هو يصف سلوك اللغة . ومن هنا لايمكن لظاهرة من الظواهر اللغوية أن تصل إلى رتبة قانون إلا إذا دعمها السماع ، يشد أزر ذلك مانقل عن أبي حيان النحوي الأندلسي ، قال : « . . .لأن الحكم يحتاج إلى سماع عن العرب حتى يصير قانوناً يبنى عليه»[132] . فالحكم الذي لايعضده السماع المتواتر حكم موهوم .

إلى جانب ما عرف عنه في مضامين السماع من اعتماد على القرآن الكريم وقراءاته ؛ وهي منطلقات مكينة ؛ لأن نص القرآن الكريم موثوق به «وأفضل مايحتج به في تقرير أصول اللغة . . . فإنه نزل بلسان عربي مبين ، لايمتري أحد في أنه بالغ في الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليس بعدها مرتقى . . .»[133] .

بالإضافة إلى أنه لم يفتح للشعر الباب على مصراعيه ، بل أخذه بتؤدة وترو . وذلك ظاهر عند تنبيهه على الحكم الخاص بالشعر . وهذا منهج سليم ؛ لأن الشعر «ليس بدليل قوي ، لأن الشاعر قد يضطر فيقول فيه ما لايقوله في كلامه»[134] .

والثاني في الغاية والهدف ، إذ نظر الطنطاوي بعين ثاقبة إلى الثمرة المجتباة من النحو ، والمتمثلة في صيانة الألسنة والأقلام من الزيغ واللحن ؛ ومن هنا جعل القاعدة النحوية وسيلة لغاية سامية . وهو أمر يدعمه العلماء . ذكر ابن خلدون : «أن» صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة . فهو علم بكيفية ، لا نفسُ كيفية . فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً . . . وهكذا العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم

بكيفية العمل وليس هو نفس العمل»[135] .

واستكمالاً للبحث ، وكسباً له صفة العلم المتمثلة في الحياد ، أرى أن أذكر بعض الهفوات التي وقع الطهطاوي فيها ، وهي :

أ - قصور بعض القواعد ، كتعريفه الفعل المعتل : «ماكان آخره حرفاً من حروف العلة الثلاثة ، نحو يخشى ويدعو ويرمي»[136] ، والحقيقة أن الفعل المعتل ماكان في حروفه الأصول أحد أحرف العلة[137] . وقد التبس على الطهطاوي الاسم المعتل بالفعل المعتل[138] .

ب - اقتصر في دلالة النعت على معنيين : الكشف والتخصيص[139] ، تاركاً معنى التوكيد[140] .

ج - قسم المفعول المطلق إلى ثلاثة أقسام : المؤكد لعامله والمبين لنوعه والمبين لعدده[141] ، وقد ترك قسماً رابعاً وهو الذي يقام فعله[142] . وشاهده قول الشاعر : (من الوافر)

فَصَبْراً في مَجَالِ المَوتِ صَبْراً
فَمَا نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

حيث قام المصدر «صبراً» مقال فعل الأمر «اصبري» .

د - ذكر في مسألة مايرفع بالواو «الأسماء الخمسة» وهي : أبوك وأخوك وحموك وفوك وذو مال[143] . والأصل هي الأسماء الستة ، وبذلك يكون الطهطاي قد تغاضى عن الاسم السادس «هن» . إلا إن قصد الالتزام بمذهب الفراء وأبي القاسم الزجاجي اللذين ادعيا أن الأسماء المعربة بالحروف خمسة لاستة[144] .

وإذا كان بالإمكان عدّ بعض هفوات العالم النهضوي رفاعة رافع الطهطاوي ، فإن هذا يقوم دليلاً على علْم الرَّجُل ، وسعة باعه في حقول الثقافة المتنوعة ؛ لأن العالم مَن أحصيت زلاته وعَدت سقطاته .

أكْرِمْ بالطهطاوي عالماً طرق أكثر من علم ومعرفة ، وأثار كثيراً من القضايا التي عملتَ على بعث النهضة العربية ، وإيقاظ الأمة من سباتها التي رزحت تحت وطأته في العصور السابقة ، وكتابه : «التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية» ، حجة وبرهان على فصاحة رأيه ، ورجاحة فكره وفرط اهتمامه بقضايا أمته .

الخاتمة

والكتاب ، بعد ، من مؤلفات النحو العربي في عصر النهضة ، هدف مؤلفه إلى غاية تبسيطية تجعل النحو مادة يستسيغها طالب العربية ، ويقبل عليها بقبول حسن ، كما يقبل على المواد الأخرى . ومن جنى البحث يمكن جمع ثمار جاءت بشكل نتائج ، هي :

أ ـ توضيح مذهب الطهطاوي النحوي القائم على الانتخاب والاختيار من المدارس النحوية . وهو فيه أصيل ؛ لأن المدارس النحوية المتأخرة ، كالبغدادية والأندلسية قائمة على الانتخاب والاختيار .

ب ـ أصالة الدرس النحوي عند الطهطاوي ، التي برزت من خلال جملة الآراء الانفرادية ، فضلاً على استحسان المصطلحات المناسبة .

ج ـ الخروج بنحو عربي مصفّى ، موجز يمكن الاستناد إليه في التدريس ، سهل المأخذ ، يسير الوصول[145] .

د ـ التأكيد على اهتمام العرب في كل عصر ، منذ زمن تقعيد القواعد وحتى العصور المتأخرة ، بقواعد لغتهم ، وإنزالهم إياه المنزلة السنّية . ولا نغالي إذا قلنا إنه من أجلّ العلوم عندهم ، يصدقه قول الشاعر : (من الكامل)

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسان الألْكَنِ
والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذا لَمْ يَلْحَنِ
والنَّحْوُ مِثلُ المِلْحِ إنْ أُلْقَيْتُهُ
في كُلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعامِكَ يَحْسُنِ

وإذا طَلَبْتَ من العلومِ أجَلَّهـــــا
فـأجَلُّهـا منْهـا مُـقِـيمُ الألْسُنِ[146]

وقد لخصت الأبيات الغاية ، وأتت على النهاية .

و«التحفة المكتبية» له دور لا يُغْفل في تبسيط قواعد اللغة العربية ، لو قُدّر له الانتشار في التعليم ، إذا قيس بكتب ابن مالك وابن هشام وسواهما ؛ لما فيه من بساطة العرض وحسن التناول وجودة المعالجة ، بعيداً عن الغموض والإبهام ، وكل مايبعث على التعقيد والاستبهام . وليس أدل على مقصدنا من مذهبه في إعراب «البسملة» . اختار رأي الكوفيين ، القائم على قلة الحذف والتقدير واللذين يُذهبان ماء الكلام ، ويكسبان النحو الجفاف ، ويتولد منه الجفاء . . . ، قال الطهطاوي : «ورجح مذهب الكوفيين بقلة المحذوف ؛ لأن المحذوف عليه كلمتان وعلى الثاني ثلاث كلمات ، وبأن الأصل في العمل للأفعال بكثرة التصريح بالمتعلق فعلاً كما في الآية (اقرأ باسم ربك) وحديث «باسمك ربي وضعت جنبي»[147] .

وبناء على ركيزتين في مذهب الطهطاوي ، الأولى البساطة والثانية الغاية الوظيفية ، وهي ما يتوخى حقّاً من الدرس اللغوي ، ومايهدف إليه تدريسه ، يمكن الإفادة منه في الفترة الحالية ، واعتماده للتدريس في المعاهد العليا ، وسنوات الجامعة الأولى ، وبعدها يشدو الطالب في استيعاب المبادئ والأصول ، ويوقر في جنانه وذهنه للنحو ، ينتقل عندها إلى المصادر النحوية ، فيدرس كتاب سيبويه والزجاجي وابن هشام ، ولاسيما في سنوات التخصص الأخيرة ، والدراسات العليا ، فيكون الطالب ، ولاسيما متخصص العربية ، قد جمع الأصالة والمعاصرة ، فينطلق بثقة مستوعباً مادته مالكاً أصولها ، ملماً بأحكامها . وبامتلاك ناصية النحو يصبح مادة سائغة يحبها الطالب حملاً على المبدأ القائل : «من جهل شيئاً عاداه» . وبمعاداتنا لروحية لغتنا ينفذ دعاة الهدم والتخريب بحجة الإصلاح ، فيهدمون بنيان مُجتمعنا ويقوّضون أركانه بأدوات مختلفة . ولافرق عندها بين معْوَل يهدم ومطرقة تحطم وقلم ينفث السموم ويلقي الآلام والكلوم .

الهوامش المراجع

(1) هو رفاعة رافع بن بدوي بن علي . . . الطهطاوي . يتصل بنسبه بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ولد بطهطا سنة 1261هـ - 1801 م . سار به والده إلى قنا ولبثا حتى ترعرع الغلام ، ثم عاد إلى طهطا ، وكان قد حفظ القرآن وكثيراً من المتون المتداولة . جاء رفاعة إلى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامعة الأزهر . لم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الأعلام في الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول والمنقول . أرسله محمد علي إماماً للوعظ والصلاة مع بعثة الشبان الذين أوفدهم إلى أوروبا . بعد عودته ولي منصب الترجمة في المدرسة الطبية . أنشأ جريدة «الوقائع المصرية» . من مؤلفاته : «تلخيص الإبريز في تلخيص باريز» ، «التعريبات الشافية لمريد الجغرافية» و«ترجم رواية عن مغامرات تليماك عنوانها «مواقع الأفلاك في أخبار تليماك» وسواها . توفي سنة 1290هـ - 1872م . ينظر ، مجلة الهلال (15 فبراير - شباط - 1895م ، 21 شعبان سنة 1312هـ) ، ج 12 ، السنة 3 ، ص442 - 446 ، والزركلي : الأعلام (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط7 ، 1986م) ، مج3 ، ص29 ، وجرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1983م) ، مج2 ، ج4 ، ص631 .

(2) ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة (دار النهار للنشر ، بيروت ، ط3 ، 1977م) ، ص94 .

(3) علي المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983م) ، ص185

(4) ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ، ص95 .

(5) د .حسين فوزي النجار : رفاعة الطهطاوي (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987م ، سلسلة أعلام العرب ، رقم 130) ، ص3 .

(6) ولا أدل على قلتها من إمكانية عدّها ، منها دراسة البدراوي زهران في كتابه «رفاعة الطهطاوي» ، ودراسة د . محمود فهمي حجازي التي تحمل اسم «رفاعة رافع الطهطاوي : أصول الفكر الحديث» .

(7) يراجع ، ابن الجوزي : كتاب الأذكياء (دار الكتب العلمية ، بيروت 1415هـ - 1995م) ، ص18 وص26 وص146 .

منها كتاب :Paul chauchard: Le langage et la pensee, Que sais-je? No 698, P.U.F, 10 edition, 1967

(8) ودراسة Judith Greene: Thinking and language, edited by Peter Herriot

(9) رفاعة الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص117 .

(10) رفاعة الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص117 .

(11) رفاعة الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص249 - 254 .

(12) اتبع الطهطاوي منهج ابن هشام في شرح شذور الذهب ، على الرغم من وجود أكثر من منهج . ينظر ، عبدالحميد حسن : القواعد النحوية مادتها وطريقتها (مطبعة العلوم ، القاهرة ، 1946م) ص 253 - 272 .

(13) السيوطي : كتاب الاقتراح (دار المعارف ، حلب - سوريا ، 1359هـ) ، ص4 .

(14) قال ابن الانباري : اعلم أن النقل ينقسم إلى قسمين : تواتر وآحاد . فأما التواتر فلغة القرآن وما تواتر من السُّنة وكلام العرب . وهذا دليل قطعي من أدلة النحو .

(15) الطهطاوي : التحفة المكتبية في تقريب اللغة العربية ـ ضمن الأعمال الكاملة ـ (دراسة وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1401هـ - 1981م) ، ج5 ، ص134 .

(16) سورة البقرة : الآية 25 .

(17) الطهطاوي : التحفة المكتبية ، ص159 . وفي جواز حذف المبدل منه وإبقاء البدل رأيان . يراجع السيوطي : همع الهوامع (تحقيق وشرح د .عبدالعال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1399هـ - 1979م) ، ج5 ، ص 222 .

(18) سورة الأنعام ، الآية100 .

(19) ينظر ، الطهطاوي : التحفة المكتبية ، الصفحات : 236, 234, 238, 241, 242, 243, 244, 250, 253, 210, 211, 212, 214, 215, 217, 218,219, 225, 226, 227, 228, 292. 230, 232, 233, 234, 235, 177, 179, 180, 181, 183, 184, 190, 191, 194, 195, 197, 198, 199, 201, 202, 203, 204, 205, 125. 134, 144, 145, 148, 156, 157, 158, 159, 162, 170, 173, 175, 176.

(20) من أمثلة ما جاء في جدول النواصب : «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُم مَرْضى» ، وقوله أيضاً : «إِنَّ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّه لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً» وسواهما . يراجعَ الطهطاوي : التحفة المكتبية . . . ، ص206 .

(21) ينظر ، الزجاجي : كتاب الجمل في النحو (حققه وقدم له د .علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ودار الأمل ، بيروت وإربد ـ عمان ، ط1 ، 1404هـ - 1984م) ، ص423 - 431 .

(22) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . . ، ص250 .

(23) سورة الرعد ، الآية9 .

(24) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر (أشرف على تصحيحه . علي محمد الضباع دار الكتاب العربي ، بيروت ، لا . تا) ، ج2 ، ص298 .

(25) سورة مريم ، الآيتان 5 - 6 .

(26) الطهطاوي : التحفة . . ،ص218 .

(27) قرأ أبو عمرو والكسائي بالجزم ، وقرأ الباقون بالرفع . ينظر ، ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، ج2 ، ص317 .

(28) يراجع ، الطهطاوي : التحفة المكتبية ، ص194, 212, 215, 226 .

(29) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ،ص250 ، ويعضده رأي ابن خالويه . ينظر ، ابن خالويه : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم (مؤسسة الإيمان ، بيروت ، لا .تا) ، ص24 .

(30) حجتهم الأولى أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت عن النبي(ص) وإنما رويت بالمعنى ، والثانية أن أئمة النحو المتقدمين من المصرين لم يحتجوا بشيء منه . يراجع ، البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (دار ادر ، بيروت ، ط1 ، لا .تا) ، مج1 ، ص4 - 5 .

(31) البغدادي : خزانة الأدب ، مج1 ، ص5 .

(32) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . . ،ص152 .

(33) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري (دار المعرفة ، بيروت ، لا . تا) مج10 ، ص382 ، باب عذاب المصورين يوم القيامة . وفيه ورد الحديث : «إن أشد الناس . . .» : «إنَّ من أشد الناس . . .» .

(34) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ،ص198 .

(35) ابن ماجة : سنن ابن ماجة (حقق نصوصه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لا .تا) ، ج2 ، ص1421 ، كتاب الزهد باب ذكر التوبة .

(36) ينظر ، الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص150 و 221 و225 و 231 .

(37) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ،ص204 .

(38) ينظر ، ابن هشام : أوضح المسالك (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل بيرت ، ط5 ، 1979م) ، ج1 ، ص328 .

(39) يراجع ، الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ،ص169 .

(40) الميداني : مجمع الأمثال(حققه وفصله . . . محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، 1374هـ - 1955م) ج2 ، ص142 .

(41) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص141 .

(42) ديوان جرير (دار صادر ، بيروت ، لا .تا) ، ص385 . وفيه ورد البيت بشيء من التحريف : «فأيهات أيهات» . . «بدل» فهيهات هيهات» .

(43) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . . ،ص188 .

(44) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (دار صادر ، بيروت ، 1386هـ - 1966م) ، ص132 .

(45) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص189 .

(46) وعجزه : «ولا وزر مما قضى الله واقياً . والشاهد فيه قوله : (لاشيء باقياً . .) حيث أعمل «لا» عمل «ليس» واسمها وخبرها نكرتان . ينظر ابن هشام : أوضح المسالك . . ، ج١ ، ص286 .

(47) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص150 . وقد ورد البيت عنده محرفاً : «تحولت» بدل تحولن .

(48) ينظر ، الطهطاوي : التحفة المكتبية ، ص 188 ,205 ,207 ,243 ,251 .

(49) فسر مجمع اللغة في القاهرة عصر الاحتجاج عن طريق قرار أصدره ، نصه : «المراد بالعرب في القرار العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم وهم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني ، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع» .مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج1 ، ص202 ، نقلاً عن د .محمد إبراهيم عبادة : عصور الاحتجاج في النحو العربي(دار المعارف ، مصر ، 1980م) ، ج1 ، ص204 .

(50) ينظر ، الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص251 .

(51) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، 1406هـ - 1986م) ، ص138 .

(52) كان ابن عباس يقول : إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ، فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب وكان إذا سُئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً . ينظر ، ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه (تحقيق د .محمد قرقزان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1408هـ - 1988م) ج1 ، ص90 - 91 .

(53) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص151 .

(54) وصدره : «ألا رب يوم لك منهن صالح» . ديوان امرئ القيس(دار صادر ، بيرت لا .تا) ، ص32 .

(55) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ،ص187 .

(56) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص211 .

(57) ذكر منها لغة هذيل ، لغة ربيعة . . . وسواهما . ينظر ، الطهطاوي : التحفة المكتبية ، ص212 و 241 .

(58) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1408هـ - 1988م) ، مج7 ، ج14 ، ص48 .

(59) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص119 - 120 .

(60) همع الهوامع ، ج1 ، ص15 .

(61) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . . ، ص122 .

(62) يراجع ، الزبيدي ، كتاب الواضح في علم العربية (تحقيق د .أمين علي السيد ، دار المعارف ، مصر ، 1975م) ، ص7 .

(63) ينظر ، السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو (راجعه وقدم له د .فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1404هـ - 1984م) ، ج1 ، ص296 ، والأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، لا .ب . ، لا . تا) ، ج2 ، ص551 .

(64) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص130 .

(65) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص131 .

(66) الزجاجي : الإيضاح في علل النحو (تحقيق د .مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، ط4 ، 1402هـ - 1982م) ، ص72 .

(67) ينظر : ابن السراج : الأصول في النحو (تحقيق د . عبدالمحسن.الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1405هـ - 1985م) ، ج2 ، ص79 .

(68) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص134 .

(69) عبدالقاهر الجرجاني : كتاب الجمل في النحو (شرح ودراسة وتحقيق يسري عبدالغني عبدالله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1410هـ - 1990م) ، ص82 - 77 .

(70) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص163 .

(71) ينظر . ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ، ص44 ، والسيوطي : الأشباه والنظائر في النحو ، ج1 ، ص295 .

(72) الطهطاوي : التحفة المكتبية ، ص145 .

(73) المرادي : الجني الداني في حروف المعاني (تحقيق د . فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب ، ط1 ، 1393هـ - 1973م) ، ص155 .

(74) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص199 .

(75) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص229 .

(76) قَسَّمَ ابن هشام الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية . . ينظر ، ابن هشام : مغني اللبيب (حققه د .مازن المبارك وآخر ، راجعه سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط٥ ، 1979) ، ص492 .

(77) ينظر ، ابن يعيش : شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، لا .تا) ، ج1 ، ص88 .

(78) العكبري : التبيان في إعراب القرآن) تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1408هـ - 1987م) ، ج 1 ، ص3 .

(79) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . . ، ص253 .

(80) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص122 .

(81) السيوطي : همع الهوامع ، ج1 ، ص15 . والفعل عند الكوفيين قسمان : ماض ومضارع ، وجعلوا الأمر مقتطعاً من المضارع .

(82) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص124 و 127 .

(83) الجر من عبارات البصريين والخفض من عبارات الكوفيين . ينظر ، ابن يعيش : شرح المفصل ، ج2 ، ص117 .

(84) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص196 و199 .

(85) البصريون يقسمون المفعول إلى : مطلق وبه وله وفيه ومعه . أما الكوفيون فزعموا أن الفعل إنما له مفعول واحد ، وهو المفعول به وباقيها عندهم ليس شيء منها مفعولاً ، وإنما هو شبه بالمفعول . يراجع السيوطي : همع الهوامع ، ج3 ، ص8 .

(86) يراجع ، الطهطاوي : التحفة المكتبية ، ص151 . وأهل الكوفة يسمون حروف المعاني الأدوات ، وأهل المنطق يسمونها الرباطات . ينظر ، الخوارزمي : مفاتيح العلوم (حققه . . إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1404هـ - 1984م) ، ص63 .

(87) سورة الإنسان ، الآية 4 .

(88) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص134 .

(89) يراجع ، مكي بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن (تحقيق د . حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1405هـ - 1984م) ، ج2 ، ص783 .

(90) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص148 - 150 .

(91) ينظر ، السيوطي : همع الهوامع ، ج2 ، ص62 .

(92) الإتباع : موافقة كلمة لأخرى في وزنها وعدد حروفها ومعظم ذواتها ، ينظر محمد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية (مؤسسة الرسالة ودار الفرقان ، بيروت وعمان ، ط3 ، 1409هـ - 1988م) ، ص33 . والإتباع على ضربين : ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتي به تأكيدا ؛ لأن لفظة مخالف للفظ الأول . وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول . فمن الإتباع

قولهم : «أسوان أتوان» في الحزن . . . ويقولون . عطشان نطشان ومعناه عطشان قلق . . يراجع ، القالي : الأمالي تحقيق محمد عبدالجواد الأصمعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لا . تا) ، ج2 ، ص 208 - 209 .

(93) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص157 .

(94) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص169 .

(95) ينظر ، محمد محيي الدين عبدالحميد : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب (حاشية شرح شذور الذهب) ، ص29 - 30 ، الحاشية (10) .

(96) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص199 .

(97) يراجع ، ابن هشام : شرح شذور الذهب (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، لا .تا ، لا .ب ، لا .تا) ، ص428 ، وابن عقيل : شرح ابن عقيل (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، لا .نا ، لا .ب ، لا .تا) ، ج2 ، ص190 - 198 ، والسيوطي : همع الهوامع ، ج5 ، ص165 .

(98) سورة الكوثر ، الآية 1 .

(99) سورة النصر ، الآية1 .

(100) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص234 .

(101) وذهب مذهباً تعصب فيه للمسموع ، حين اعتبر النحو بلا شعر كالظلام الدائم ، أنشد : (من الطويل)

كَلامٌ بلا نحوٍ طَعام بلا ملحِ
ونَحْوٌ بِلا شِعْرٍ ظَلامٌ بِلا صبح

الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص115 .

(102) يصور ذلك اعتبارهم النحو «علم بمقاييس كلام العرب» . ينظر ، السيوطي : كتاب الاقتراح ، ص6 ، وقد صور أحد الدارسين منهجهم ، قال : «ولكن هذا المنهج السليم سرعان ما انحرف واعتوره الضعف ، منذ أن استبدل العرب القواعد بالحقائق ، والمعايير بالوقائع . يراجع د .صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة (دار العلم للملايين ، بيروت ط9 ، 1981م) ، ص27 .

(103) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص138 .

(104) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص194 .

(105) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص193 .

(106) ينظر ، ابن هشام : أوضح المسالك . . ، ج4 ، ص28 .

(107) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ،ص193 .

(108) وصدره : أتهجر لَيْلَى بالفراَق حَبيبَها ، ينظر ، ابن عقيل : شرح ابن عقيل ، ج1 ، ص670 .

(109) الطهطاوي : التحفة المكتبيَة . . ، ص184 .

(110) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص175 .

(111) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص188 .

(112) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص176 .

(113) سورة الحاقة ، الآية 1 و 2

(114) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص148 .

(115) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص118 .

(116) يقصد بالنحو الوظيفي مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو ، وهي ضبط الكلمات ، ونظام تأليف الجمل ، ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ، ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة . يراجع ، عبدالعليم إبراهيم : النحو الوظيفي (دار المعارف ، مصر ، ط4 ، 1978م) ، ص هـ - و .

(117) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص126 .

(118) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص118 .

(119) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص124 .

(120) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص125 .

(121) ينظر ، ابن هشام : أوضح المسالك ، ج1 ، ص286 .

(122) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص151 .

(123) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص160 .

(124) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص202 .

(125) يراجع ، السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو ، ج1 ، ص298 .

(126) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص123 .

(127) ينظر ، الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص133 و 251 .

(128) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص202 .

(129) الإمام عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة (صححها على نسخة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . . . السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1402هـ - 1982م) ، ص102 .

(130) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص117 .

(131) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص117 . وقد أثبت هذا عبدالقاهر الجرجاني . ينظر عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البالغة (صححه . . . السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1402هـ -

(132) 1982م ، ص 30 - 31 .

(133) يراجع ، السيوطي : همع الهوامع ، ج5 ، ص204 .

محمد الخضر حسين : دراسات في العربية وتاريخها (المكتب الإسلامي ودار الفتح ، دمشق ، ط

(134) 2 ، 1380هـ - 1960م) ، ص30 - 31 .

ابن أبي الربيع : البسيط في شرح جمل الزجاجي (تحقيق ودراسة د .عياد بن عيد الثبيتي ، دار

(135) الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1407هـ - 1986م) ، السفر الثاني ، ص999 .

(136) ابن خلدون : المقدمة (دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت ، 1982م) ، ص1081 - 1082 .

(137) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص122 .

(138) عبدالغني الدقر : معجم النحو (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط4 ، 1408هـ - 1988م) ، ص355 .

ينظر ، ابن الدهان : كتاب الفصول في العربية (حققه د . فايز فارس ، دار الأمل ومؤسسة الرسالة ،

(139) بيروت وإربد ط1 ، 1409هـ - 1988م) ، ص5 .

(140) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص172 .

ينظر ، عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز (تحقيق د .محمد رضوان الداية وآخر ، دار قتيبة ،

(141) دمشق ، ط1 ، 1403هـ - 1983م) ، ص31 .

(142) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص 127 .

(143) يراجع ، ابن هشام : أوضح المسالك . . ، ج2 ، ص216 - 220 .

(144) الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص131 .

(145) يراجع ، ابن هشام : شرح شذور الذهب ، ص43 .

من مشاكل النحو العربي القديمة ، صعوبة الوصول إلى المقصود . قال الخليل بن أحمد : «لايصل أحد من علم النحو إلى مايحتاج إليه حتى يتعلم مالايحتاج إليه . .» .ينظر ، الجاحظ : الحيوان (بتحقيق عبدالسلام محمد هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط2 ،

(146) 1965م) ، مج1 ، ص37 - 38 .

ابن عبدالعزيز القرطبي : بهجة المجالس وأنس المجالس . . (تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتب

(147) العلمية ، بيروت ، لا . تا) ، مج1 ، ق1 ، ص66 .

الطهطاوي : التحفة المكتبية . . ، ص253 .

* * *